الفصل الثانى

فكرة الجمهورية فى مصر

من الاحتلال الانجليزى حتى نهاية الحرب العالمية الأولى

لم تخمد فكرة الحديث عن الجمهورية فى ظل الاحتلال الانجليزى لمصر ، فقد تحدثت جريدة « المؤيد » عنها فى سياق حديثها عن الملكية فقالت عن النظام الجمهورى أنه غريزة كامنة فى طبع الانسان لأنه يعنى حكم الانسان لنفسه بنفسه ، ولا يحركها الا ظلم الملوك ، ثم أوضحت صلاحية كل من الحكم الجمهورى والملكى فقالت ان النظام الجمهورى يكون صالحا للامة أحيانا ، والنظام الملكى يكون صالحا أحيانا أخرى ، فالجمهورية تكون صالحة للامة اذا أخذت حقها من السلطة ، ونجحت فى تنظيم الأحوال الداخلية فى بلادها ، وتكون وبالا على الأمة اذا انقسمت السلطة فيها واختلفت الأهواء[1] . وقد ضربت المؤيد مثلا لذلك بما حدث لفرنسا عندما وقعت فى قبضة الكومون[2] .

---

(١) المؤيد : العدد ١٩ من السنة الأولى فى ٢٦ ديسمبر ١٨٨٩ تحت عنوان « الملك والجمهورية » .

(٢) ابان حصار الالمان لباريس قامت حكومة جديدة فى هذه المدينة تتألف من الطبقة العاملة والعناصر الجمهورية من الطبقة الوسطى أطلق عليها كومون باريس ، ويعتبر المؤرخون هذه الحكومة اول محاولة فى التاريخ الحديث لاقامة حكومة اشتراكية بأسلوب الفهم الماركسى للاشتراكية .

د. محمد انيس : محاضرات فى تاريخ اوربا المعاصر .

كما كتب محمود فهمى المهندس أحد قواد الثـورة العرابية أثناء تواجده فى منفاه بجزيرة سيلان عن الجمهورية فى سياق التفرقة بين الحكومات فقال « انقسمت الممالك الى حكومات ملكية وجمهورية ... وأما الحكومة الجمهورية فهى نظام تنحصر فيه السلطة والسيادة فى رجال ممتازين من الأمة[٣] كما أوضح أن السلطة المنفذة فى الجمهورية تكون بأيدى حكومة منتخبة[٤] » .

ولمـا تولى الخديو عباس الثانى أريكة الخديوية فى يناير ١٨٩٢ وقرب اليه بعض الوطنيين ومنهم الشيخ على يوسف ، والشيخ محمد عبده ومصطفى كامل وغيرهم كان الشيخ على يوسف يخشى على مركزه لدى الخديو خصوصا بعد تقرب الشيخ محمد عبده من عباس الثانى ، فحاول الوقيعة بينهما بأن اتهم الشيخ محمد عبده بعدم الاخلاص للخديو وبأنه « يكره أسرة محمد على ، ويؤلف عصبية فى مصر لنزع الامارة تكون بأيدى حكومة منتخبة »[٥] .

وظلت ارهاصات فكرة الجمهورية تراود بعض الكتاب فيتحدثون عنهـا أحيانا بأسلوب رمزى أو فى سياق التفرقة بين الحكومات ، كما استعملها البعض للتقرب من الأسرة الحاكمة والوقيعة بين الخديو وبعض الوطنيين حتى جاء عام ١٩٠٧ فخرجت الفكرة فى حيز النظرية الى حيز التطبيق ، وذلك بالدعوة لاقامة حزب يدعو الى قيام الجمهورية علانية . ففى ديسمبر ١٩٠٧ طرح محمد غانم أول داعية لقيام حزب جمهورى فى مصر فكرة اقامة جمهورية لتكون بديلا عن الخديوية ، وعبر عن ذلك فى مقالاته التى نشرتها له جريدتا الأخبار والاحرار والتى أوضح فيهـا

---

(٣) محمود فهمى : البحر الزاخر فى تاريخ العالم واخبـار الاوائل والأواخر ، ج ١ ، ص ٨

(٤) نفسـه .

(٥) محمد رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الامام ، ج ١ ، ص ٥٧٤

أهمية تكوين حكومة جمهورية تجعل سيادة الأمة فى وادى النيل مصدرا لكل سيادة[٦] فذكر أن « الجمهورية هى الحكومة الطبيعية للبشر »[٧] كما أوضح بأن مصر خليقة بأن « تجعل خاتمة حياتها السياسية الطموح الى الحكم الجمهورى ، والسعى الى تحقيقه بالنفس والنفيس ، وأن تجعل هذا لديها غرض الأغراض وغاية الغايات »[٨] وتنبأ بسقوط الخديوية وقيام الجمهورية على انقاضها فقال « ان من تأمل الحكومة الحاضرة فى مصر ، وأمعن فى هيئتها ومد فكره الى غاية نظامها فى المستقبل أدرك أنها آيلة لا محالة الى الحكومة الجمهورية الثابتة الدعائم المتينة الأركان »[٩] وناشد المصريين بالعمل على الدعوة الى بث فكرة الجمهورية فقال « الدعوة الى الجمهورية ، والعمل لبلوغ هذا القصد العالى بجميع الوسائل الشرعية واجبان مفروضان على كل مصرى يشعر بالوطنية الحقة ، ويسعى لرفع منار أمته بين الشعوب الحية »[١٠] كما ذكر « أنه يتحتم على كل مصرى أن يسعى فى طلب الحكم الجمهورى لبلاده بقلمه ولسانه ، وما له ضمن دائرة القانون ، والا كان جاهلا بحقيقة معنى الوطنية »[١١] ثم وضح مزايا قيام الجمهورية بقوله ان « الجمهورية معناها أن تختار الأمة رئيسا عليها ممن هم أحق بالحكم

---

(٦) الاخبار : العدد ٢٥٢ فى ٢٢ ديسمبر ١٩٠٧ مقال لمحمد غانم تحت عنوان « الحزب الجمهورى — سيادة الأمة مصدر كل سيادة » .

(٧) الأخبار : العدد ٢٥٧ فى ٣١ ديسمبر ١٩٠٧ مقال لمحمد غانم تحت عنوان « الحزب الجمهورى — سيادة الأمة بتمام استقلالها » .

(٨) الأخبار : العدد ٢٥٢ فى ٢٢ ديسمبر ١٩٠٧ مقال لمحمد غانم تحت عنوان « الحزب الجمهورى — سيادة الأمة مصدر كل سيادة » .

(٩) نفسه .

(١٠) نفسه .

(١١) نفسه .

فيها كفاءة واستعدادا »[١٢] وان الحكومة الجمهورية هى أقرب الحكومات الى مبادىء العدل والانصاف وأكثرها مراعاة لكرامة الانسان[١٣] .

وقد هاجم محمد غانم معظم الأحزاب لأنها لا تطالب بالاستقلال التام لمصر وذكر أن « الجمهورية لا تكون الا مع الاستقلال التام ، وهى أقصى أمانى الأمم الحية ، وأعز ما تصبو اليه نفوس أبنائها ، ولذا يجب على الانسان الحى أن ينشد لوطنه الاستقلال التام من أبوابه الشرعية بكل ما فى وسعه ، ويجب عليه أن يسعى الى ذلك باخلاص وبلا رياء »[١٤] .

ولقد رحبت جريدة الأخبار بقيام هذا الحزب ، وتمنت له التقدم والفلاح[١٥] وناشدت أعضاءه ضرورة تحمل العقبات التى ستواجه الحزب ، والتى تجعل نجاحه بعيدا ، ومن هذه العقبات جهل العامة فى مصر ، وارتباط أصحاب القوة والجاه بالخديوية وتأييدهم لها[١٦] .

ومن الواضح أن محمد غانم كان من مجموعة المثقفين الذين تأثروا بثقافة الثورة الفرنسية ، ويظهر ذلك واضحا فى اعجابه بالجمهورية الفرنسية التى وصفها بأنها « أرقى نوع فى حكومات العالم »[١٧] كما

---

(١٢) الأخبار : العدد ٢٥٧ فى ٣١ ديسمبر ١٩٠٧ مقال لمحمد غانم تحت عنوان « الحزب الجمهورى — سيادة الأمة بتمام استقلالها » .

(١٣) الأخبار : العدد ٢٣٩ فى ٧ ديسمبر ١٩٠٧ تحت عنوان : « الجمهورية فى مصر — الآباء يغرسون والأبناء يستثمرون » .

(١٤) الأخبار : العدد ٢٥٧ فى ٣١ ديسمبر ١٩٠٧ مقال لمحمد غانم تحت عنوان « الحزب الجمهورى — سيادة الأمة بتمام استقلالها » .

(١٥) الأخبار : العدد ٢٣٩ فى ٧ ديسمبر تحت عنوان « الجمهورية فى مصر — الآباء يغرسون والأبناء يستثمرون » .

(١٦) نفسه .

(١٧) الأحرار : العدد الرابع فى ٤ أبريل ١٩٠٨ مقال لمحمد غانم تحت عنوان « أين جريدة الأمة » .

يظهر فى تركيزه على ضرورة تكوين « حكومة جمهورية تجعل سيادة الأمة فى وادى النيل مصدرا لكل سيادة فيه »[١٨] ومطالبته كل المصريين بالدعوة اليها[١٩] ، واصراره على ضرورة قيامها فقد أوضح أن خير أنواع الحكم للمصريين هو الجمهورية بقوله « ان خير هيئة حاكمة لمصر ترضى الجميع ، ويسعى اليها الجميع هى الجمهورية بلا منازع »[٢٠] .

وقد ردد محمد غانم شعار الثورة الفرنسية « حرية — أخاء — مساواة » وذكر أن هذه الكلمات الثلاث يجمعها لفظ الجمهورية[٢١] ، كما احتفل حزبه بيوم ١٤ يوليو الذى تحتفل به الجالية الفرنسية فى مصر ، وحث المصريين على الاشتراك فى الحفل الذى تقيمه الجالية الفرنسية فى حديقة الأزبكية احتفالا باحياء ذكرى عيد الجمهورية الفرنسية[٢٢] .

ويتضح من كتابات محمد غانم أنه كان شديد العداء لأسرة محمد على فكتب فى جريدة الأحرار عدة مقالات منها مقال تحت عنوان « صحيفة سوداء من فظائع الاستبداد »[٢٣] وضح فيه مآسى أسرة محمد على فى مصر ، كما كتب مقالا آخر تحت عنوان « الحزب الجمهورى — مواضع النقض من خطبة البرنس حيدر »[٢٤] رد فيه على خطاب البرنس حيدر الذى ألقاه فى نادى المدارس العليا ، وأشاد فيه

---

(١٨) الأخبار : العدد ٢٥٢ فى ٢٢ ديسمبر ١٩٠٧

(١٩) نفسه .

(٢٠) الأحرار : العدد ١٠ فى ١٦ مايو ١٩٠٨ تحت عنوان « مصير مصر للجمهورية لا محالة » .

(٢١) الأحرار : العدد ١١ فى ٢٣ مايو ١٩٠٨ تحت عنوان : « الجمهورية — الجمهورية » .

(٢٢) نفسه .

(٢٣) الاحرار : العدد ١٦ فى ٢١ يونيو ١٩٠٨

(٢٤) الاحرار : العدد ٧ فى ٢٥ ابريل ١٩٠٨

بمنجزات محمد على فى مصر فقال بأن التاريخ يشهد أن محمد على « كان حاكما ظالما »[٢٥] وأن همه كان فى جميع أعماله طلب المنفعة لشخصه ، وحصر الملك والثروة فى ذريته[٢٦] وطالب الطلاب بقراءة تاريخ الجبرتى حيث يشتمل على « أصدق الأخبار عن سيرة محمد على وأعمال حكومته »[٢٧] كما ذكر أن الجبرتى كان قد وضع عن أعمال محمد على كتبا غير « عجائب الآثار فى التراجم والأخبار » امتلأت بالفظائع ، ولكى يتخلص محمد على من فضائحه أمام التاريخ أحرق هذه الكتب[٢٨].

ولكى يجذب محمد غانم جماهير الناس حول فكرته عن الجمهورية ويقربها الى عقولهم أوضح لهم أن النظام الجمهورى شبيه بنظام الشورى فى الاسلام وأن مبادىء الجمهورية هى المبادىء التى سارت عليها الحكومات الاسلامية من قبل لأنها عبارة عن صورة مصغرة « لهيئة الحكومة الشورية فى الاسلام »[٢٩] .

كما أوضح أن الجمهورية هى الحكومة الطبيعية للبشر لذلك اختارها الاسلام منذ ظهورها وسار عليها[٣٠] وذكر أن « الجمهورية الاسلامية تفضل الجمهورية الأوربية حرية وعدلا[٣١] .

أما عن موقف الحزب الجمهورى من العدالة الاجتماعية فيتضح من

---

(٢٥) الأحرار : المقال السابق .
(٢٦) نفسه .
(٢٧) نفسه .
(٢٨) نفسه .
(٢٩) الأحرار : العدد التاسع فى ٩ مايو ١٩٠٨ تحت عنوان « الجمهورية والشورى فى الاسلام » .
(٣٠) الاخبار : العدد ٢٥٧ فى ٣١ ديسمبر ١٩٠٧ تحت عنوان « الحزب الجمهورى — سيادة الأمة بتمام استقلالها » .
(٣١) الأحرار : العدد التاسع فى ٩ مايو ١٩٠٨ تحت عنوان « الجمهورية والشورى فى الاسلام » .

كتابات محمد غانم مهاجمته للاعيان والأمراء موضحا أنهم يعيشون عالة على الأمة ويستولون على ثمرة عرق الفلاح المسكين فذكر فى رثائه لقاسم أمين « ولو قيل لنا افدوه لفديناه بألف أمير من هؤلاء البرنسات الذين يعيشون من مال الأمة عالة عليها وحملا ثقيلا على أبنائها يأخذون من أموالها الملايين من الجنيهات لينفقوها فى ملاهى باريز وملاعب مونت كارلو وغيرها على الخمور والنساء والميسر والعربات المتنوعة »(٣٢) كما أوضح أن ما ينفقه هؤلاء من أموال هو ثمرة كد الفلاح المصرى وعرقه فقال « لو علموا أن ذلك الفلاح المسكين الواقف فى جوف الصعيد تحت نار الشمس فى الصيف الهجير يتصبب عرقا من الجهد فى العمل ... ويفنى قواه نصبا وجوعا ليجمع لحضراتهم الذهب ، ويرسله لهم بالقناطير فيصرفوه فى لهوهم وشهواتهم لراقبوا الله فى هذه الأمة المسكينة التى اساءوا اليها بقدر ما أحسنت اليهم »(٣٣) .

أما عن موقف الحزب الجمهورى من الأحزاب الأخرى فانه يرى أن حزب الأمة هو أقرب الأحزاب الى الجمهورية وقد أوضح محمد غانم ذلك بقوله « ان حزب الأمة والحزب الجمهورى هما فى الحقيقة حزب واحد لا يختلفان عن بعضهما فى غير التسمية فكل منهما يقول بسلطة الأمة ، وأوسع معانى هذه السلطة ما كان مشخصا فى الهيئة الجمهورية »(٣٤) وأن الحزب الجمهورى لا يعترف سوى بحزب الأمة ، ومع ذلك فانه ينتقد أعضاء هذا الحزب لعدم اعلان ذلك صراحة فيقول « أن حزب الأمة ينادى بالجمهورية بضميره ، وينكرها بلسانه ، ويقرر

---

(٣٢) الأحرار : العدد الثامن فى ٢ مايو ١٩٠٨ تحت عنوان : « رثاء الحزب الجمهورى » .

(٣٣) نفسه .

(٣٤) الأحرار : العدد الرابع فى ٤ أبريل ١٩٠٨ مقال لمحمد غانم تحت عنوان « أين جريدة الأمة » .

معظم المبادىء الاساسية التى قررها الحزب الجمهورى ويعطيها من الأسماء ما شاء »[٣٥] .

وعلى الرغم من أن الحزب الجمهورى هاجم بعض آراء لطفى السيد وحزب الأمة لتحرجهما فى مسألة الاستقلال التام والاستقلال الكامل فانه أعلن أن نفوس أعضاء حزب الأمة وقلوبهم ترقص طربا لذكر الجمهورية[٣٦] .

أما عن الحزب الوطنى فيذكر محمد غانم أن سياسة مصطفى كامل كانت سياسة الوطنى المخلص الذى ينشد لوطنه الاستقلال التام ، والذى كان يرغب فى أن يرى مصر جمهورية قائمة بذاتها يوما ما ، ولكن ظروف مصر السياسية حالت دون أن يجاهر برأيه مرة واحدة خوفا من أن يفقد الحزب الجزء الأعظم من القوة الوطنية التى كان يستند اليها[٣٧] .

والجدير بالذكر أن محمد غانم لم يكن وحده الذى أوضح رغبة مصطفى كامل فى النظام الجمهورى فان جريدة المؤيد لسان حال حزب الاصلاح على المبادىء الدستورية قد لمحت الى ذلك بقولها « ان مصطفى كامل كان يخاف أعضاء الحزب الجمهورى ويحذرهم أكثر مما يخاف سواهم من خصومه اذ اشتهر من سنوات عديدة أن غاية ما يسعى اليه هو أن يكون الرئيس للجمهورية المصرية الجديدة »[٣٨] .

---

(٣٥) الأحرار : العدد الحادى عشر بتاريخ ٢٣ مايو ١٩٠٨ مقال لمحمد غانم تحت عنوان « الجمهورية — الجمهورية . الحرية لا ثمن لها » .

(٣٦) نفسه .

(٣٧) الأحرار : العدد ٤٩ فى ٢٠ فبراير ١٩٠٨ مقال لمحمد غانم تحت عنوان « الحزب الجمهورى والمرحوم مصطفى كامل » .

(٣٨) المؤيد : العدد ٥٣٧٣ بتاريخ ٢٥ يناير ١٩٠٨ تحت عنوان « رأى الفائزت فى الأحزاب المصرية — الحزب الجمهورى » .

وعلى كل حال فان تكوين مصطفى كامل الثقافى ودراسته فى فرنسا قد تجعله أقرب الى اتجاه مفكرى القرن العشرين منه الى اتجاه المفكرين الذين سبقوه فقد اعتمد على فرنسا فى محاولة استخلاص مصر من الانجليز وأخذ من الفرنسيين أسلوبهم فى نقد الانجليز ، ولكن ظروف مصر الدولية ربما لم تمكنه من أن يطرح الفكر الجمهورى من خلال حزبه أو من خلال دعوته الى الاستقلال .

وبالنسبة لحزب الاصلاح على المبادىء الدستورية فان محمد غانم قد هاجم الشيخ على يوسف واتهمه بأنه » ينكر على أمته حق التمتع باستخدام سلطتها الشرعية .. التى مصدرها الأمة «[٣٩] .

أما عن علاقة محمد غانم بحزب الأحرار فتتضح من مقالة له ذكر فيها أنه بالرغم من علاقة الصداقة بينه وبين محمد وحيد رئيس حزب الأحرار فانه لا توجد علاقة بينه وبين حزب الأحرار أو جريدته[٤٠] .

والواقع أن حز بالأحرار وجريدته ساعدا محمد غانم على ظهور آرائه أمام الملأ حيث أن جريدة الأحرار نشرت أفكار محمد غانم وفكرة الحزب الجمهورى ، بل وقرظت هذا الحزب بقولها بأن له « مبدأ جلى هو أنه يتمنى أن تكون مصر جمهورية »[٤١] ولكن هذا الموقف لم يستمر، فعندما هاجم محمد غانم الانجليز حرمه حزب الأحرار من نشر مقالاته فى جريدته فكان ذلك الحرمان بمثابة خنق لا لحرية الحزب الجمهورى

---

(٣٩) الأخبار : العدد ٢٥ فى ٤ فبراير ١٩٠٨ مقال لمحمد غانم تحت عنوان « الحزب الجمهورى وأقوال أعدائه فيه » .

(٤٠) الأحرار : العدد الثالث فى ٢٨ مارس ١٩٠٨ تحت عنوان « الحزب الجمهورى » .

(٤١) الأحرار : العدد ١٤ فى ١٣ يونيه ١٩٠٨ تحت عنوان « حزب فى الهواء يرقص مع المشركين فى الأرض ، ويسبح لله فى السماء » .

فحسب بل وجوده أيضا[٤٢] .

والواضح أن فكرة الحزب الجمهورى لم تستمر طويلا ، كما أن أصحاب هذه الفكرة لم يستمر نشاطهم طويلا فقد ذكرت المؤيد ذلك بقولها « أن المصريين الذين يميلون الى استقلال مصر العاجل ، وجعلها جمهورية حرة لا يبدون أدلة كثيرة على النشاط والسعى »[٤٣] .

وعندما قامت الحرب العالمية الأولى أعلنت الحماية البريطانية على مصر وعزلت انجلترا الخديو عباس الثانى ، وغيرت لقب خديو مصر الى سلطان دون أن تستشر المصريين أو غيرهم فى ذلك ، وبذلك دخلت مصر مرحلة جديدة فى حياتها السياسية .

---

(٤٢) د. يونان لبيب : الحياة الحزبية فى مصر فى عهد الاحتلال ص ٦٤

(٤٣) المؤيد : عدد ٥٣٧٣ فى ٢٥ يناير ١٩٠٨ تحت عنوان « راى الغازت فى الأحزاب المصرية » .

obeikan.com